بواكير الرواية العربية
فى القرن الجديد

obeikandl.com

- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

◆ ◆ ◆

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

◆ ◆ ◆

مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

obeikandl.com

شوقى عبد الحميد يحيى

بواكير الرواية العربية فى القرن الجديد
دراسات تطبيقية

مركز الحضارة العربية

obeikandl.com

الكتاب: بواكير الرواية العربية في القرن الجديد
دراسات تطبيقية

الكاتب: شوقي عبد الحميد يحيى
(مصر)

الناشر: مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى: القاهرة ٢٠٠٨

الغلاف
تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكتروني:
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ: إيمان محمد
تصحيح: وفاء عبد الفتاح

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٩٧٠٣

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-938-9

يحيى، شوقي عبد الحميد.
بواكير الرواية العربية في القرن الجديد: دراسات تطبيقية/ شوقي عبد الحميد يحيى.
- القاهرة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠٠٨.
١٩٢ ص؛ ٢٠سم.
تدمك: ٩-٩٣٨-٢٩١-٩٧٧
١- القصص العربية - تاريخ ونقد.
أ- العنوان ٨١٣,٠٠٩

obeikandl.com

إهداء

إلى عمرو وكريم

بعض مما منحانى من بهجة

جدو

شوقى

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

الرواية والمجتمع

بعد أن ساد الرواية طوال العقود الأولى من القرن العشرين الجانب الاجتماعى الذى اعتمدَ على العلاقات الاجتماعية، الذى ازدهر على يد طه حسين، توفيق الحكيم، يحيى حقى، عبد الحليم عبد الله، نجيب محفوظ، يوسف السباعى، إحسان عبدالقدوس، وغيرهم. وفى العقود الوسطى عندما ارتفعت الحرارة السياسية كانت الرواية السياسية أو الجمعية، تلك التى حاولت صنع البطل المنتظر أو البطل المنعقدة عليه الآمال وتمثلت فى كتابات عبد الرحمن الشرقاوى، يوسف إدريس، فتحى غانم. ثم بعد انكسار ذلك البطل، ارتد الكاتب على نفسه مؤنبًا أو هاربًا وإن ظلت عينه على الوطن وهمومه آنًا، فظهرت كتابات ما عرف بجيل الستينيات والذين من أبرزهم بهاء طاهر، خيرى شلبى، جمال الغيطانى، إبراهيم أصلان وصنع الله إبراهيم، وآنًا آخر اتسعت رؤيته إلى أبعد من حدود الوطن، ليس ابتعادًا عن مشاكل الوطن فقط، وإنما انغماسًا أكثر فى الذاتية متمثلاً فى البحث عن المطلق، ويمثل هذا الاتجاه أكثر من غيره الجيل التالى لجيل الستينيات وأبرزهم خيرى عبد الجواد، إبراهيم عبد المجيد، يوسف أبو رية، سلوى بكر وغيرهم.

إلى أن ازدادت الشرنقة حول الكاتب وازداد توغله داخل ذاته

فظهر ما يمكن تسميته بالرواية الذاتية التى اقتربت كثيرًا من السيرة الذاتية، فأصبحت تدور حول ذات الراوى وابتعدت عن الهم الجمعى، متخذة من الجسد والأشياء والحياة الخاصة مادةً لها، ومن كتابها من يمكن تسميتهم بجيل التسعينيات من أمثال منتصر القفاش، مصطفى ذكرى، مى التلمسانى، نجلاء علام، ومنصورة عز الدين وغيرهم - إلا أنه يجب التأكيد على عدم وجود ذلك الخط الفاصل بين تلك المجموعات، وإنما هى كألوان الطيف المتداخلة المتدرجة، والتى ينبثق بعضها من بعض - أو أن كل مجموعة منها كالابن من الأم يرتبط وجوده بها لفترة، ويعتمد عليها فترة، ثم لا يلبث أن ينفصل ويستقل عنها وتكون له شخصيته المستقلة.

وقد يتطلب الأمر دراسة هذه المراحل بشئ من الإيجاز غير المخل للوقوف على عناصر الكتابة الروائية فى تلك المراحل، لمعرفة ما أضافته الرواية الجديدة – فى القرن الواحد والعشرين – وما هى العناصر الجديدة لها، ومدى اختلافها عن المراحل السابقة.

❖❖❖

ارتبطت فكرة نشأة الرواية فى أحد الآراء، بالحروب فى عهد السلاطين، حيث يجلس الراوى (ليحكى) عن انتصارات الجيش على العدو مضيفًا من عنده ما يضخم من تلك البطولات التى أدت لهذا الانتصار، أو فى محاولة لإبراز عناصر خارجية أدت للهزيمة – إن كانت نتائج الحرب هى الهزيمة -، فى محاولة لإرضاء السلطان عن رعاياه من جانب، وليظل الشعب ملتفًا حول سلطانه الملهم الذى لا يأتيه الباطل، من جانب آخر. فارتبط الحكى بحركة المجتمع (الجيش والشعب) بشكلٍ أو آخر، منذ بدايات القرن العشرين – حيث البدايات الحقيقية للرواية العربية بظهور

زينب هيكل – بينما كانت البدايات بالنسبة للرواية العالمية أواخر القرن الثامن عشر -. ثم جاءت روايات البدايات – بالنسبة للرواية العربية لتعبر عن فكر وحياة المرحلة، فكانت روايات طه حسين وتوفيق الحكيم والطيب صالح، روايات بحث عن هوية، فى مجتمع ضاع بين الهوية المصرية أرضًا وحضارةً، وهوية الاستعمار المسيطر الفارض لوجوده المحاول لمحو هذه الهوية، وفرض هويته على الأرض والناس، فعبرت رواياتهم عن المرحلة قلبًا وقالبًا، متمثلة فى عنصر البعثات التى كانت هى المحك الحقيقى بين النخبة المؤثرة – آنذاك – والمجتمعات المختلفة مع مجتمعهم فى كل شئ، فكانت أديب طه حسين/ عصفور من الشرق للحكيم/ قنديل أم هاشم ليحيى حقى/ موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح/ الحى اللاتينى لسهيل إدريس، والتى مثلت مرحلة حيوية ومؤثرة فى مسيرة الرواية، وتعبيرها عن المرحلة. ثم يقدم الحكيم فى عام ١٩٣٣ روايته "عودة الروح" التى اهتم فيها بالأوضاع الاجتماعية التى سادت رواياته من بعد وهى "يوميات نائب فى الأرياف" "عصفور من الشرق". حيث اعتمدت كلها على نقد الأوضاع الاجتماعية السائدة، فى مواجهة الآخر، مثلما كانت روايات طه حسين "دعاء الكروان" و"شجرة البؤس" التى ركزت أيضًا على الأوضاع المتردية للأفكار السائدة، فى ثورة ورفض لها. وليظهر بعد ذلك نجيب محفوظ الذى أرخت رواياته للحقب المصرية بدءًا من ثورة ١٩١٩، وحتى يوليو ١٩٥٢ وما تبعها وكان من نتيجتها ما حدث من هزة فى يونيو ١٩٦٧، متحسبًا لوقوعها نتيجة ما ظهر من تجاوزات لرجالها والمستفيدين منها، فكانت "اللص والكلاب"، "السمان والخريف" "ثرثرة فوق النيل" و"ميرامار" التى نبهت لما يحدث فى وقت عز فيه البوح وانخرست الألسن، فكانت كلمته إلى جانب كونها أمانة،

فهى رسم دقيق وصادق لحركة المجتمع فى تلك الفترة.

ومع ظهور حركة يوليو ١٩٥٢ وما صاحبها من تيارات اشتراكية اهتمت بطبقة العمال والفلاحين، ظهر كتاب من أمثال عبد الرحمن الشرقاوى الذى قدم "الشوارع الخلفية" وروايته الأشهر "الأرض" التى صورت باقتدار تلك الرؤية السائدة آنذاك من ظلم الإقطاعيين للفلاحين الذين جاءت الثورة لنصرتهم؛ فكانت تعبيرًا عن فكر مرحلة وترجمة لهواجس أمة.

ثم يأتى يوسف إدريس – الذى أحدث ثورته بالأساس فى القصة القصيرة ليسهم أيضًا فى العطاء الروائى، فيقدم "الحرام" ١٩٥٩، والتى صور فيها مأساة طبقة لها وجودها فى تلك الفترة وهى عمال التراحيل وما يقع عليهم من غبن، وما يعيشونه من بؤس وفاقة.

يظهر كذلك فتحى غانم ليقدم تصوره أيضًا عن مرحلة يوليو ١٩٥٢ فى رائعته "الرجل الذى فقد ظله" فى عام ١٩٥٨، أى بعد أن كانت رؤية المرحلة ورؤاها قد تحركت من تحت القناع، ليكشف بها عن سوءات ما حدث وما يحدث، معبرًا عن فترة مشحونة بالغليان التحتى، غير المنظور، فكانت أيضًا نبوءة مبكرة لما حدث بعد ذلك.

وما حدث بعد ذلك هو نكسة السادس من يونيو ١٩٦٧ والتى كانت أكبر هزة فى العصر الحديث، لا فى مصر وحدها، وإنما فى الوطن العربى كله، كانت أيضًا بدايةً لظهور جيل جديد من الروائيين، فإلى جانب محاولاتهم الأسلوبية فى استحداث تقنيات جديدة، ومحاولة التمرد على الأساليب التقليدية فى القص – ليس هنا مجال التفصيل لها – فإنهم عبروا بصدق وإحساس عن المرحلة الجديدة مثل جمال الغيطانى الذى قدم "الزينى بركات" الذى عاد

بنا فيها إلى العصر المملوكى كى يلبس شخصياته حللها، بينما ينطقها بلغة العصر ومعاناة العصر الحالى من كبت وجاسوسية وتنكيل، فى عملية إسقاط من أجمل ما قدم هذا الجيل، ناقدًا وكاشفًا لعمليات القمع الواقعة من الحاكم للمحكوم، وكيفية التحايل للوصول إلى الحكم.

وبهاء طاهر الذى قدم "خالتى صفية والدير" ١٩٩٢، والتى تعتبر من أمتع ما قدم خلال هذا الجيل، والتى تميز بحق أهم عناصر تلك المرحلة، فتعدد مراحل ومستويات القراءة، إذ المستوى القريب والمباشر الذى يقوم على المؤاخاة بين المسلم والمسيحى، كما تعتمد الرمز الذى يؤل صفية إلى مصر التى وقعت فى حب حربى وطمحت للزواج منه الذى يمكن اعتباره – حربى - رمز العهد أو الجيل الجديد، والخال (القنصل) الذى تزوج صفية، والذى يعد رمزًا للجيل القديم، جيل الإقطاعيين والذى انقلب على الجيل الجديد رغم التفانى والخدمات التى قدمها هذا الجيل، وفيها أيضًا حاول بهاء طاهر تصوير العصر وصراعات الأجيال التى كانت على أشدها فى المقارنة بين عهود رئاسية متتابعة، رافضة للكل، وباحثة عن زمن الصفاء والوئام المفقود، والتى بدأت فى الظهور بشكلٍ لافت فيما تلا ذلك من كتابات أجيال جديدة، والتى هى موضوع دراستنا فى هذا الكتاب.

فإذا كانت رواية بهاء طاهر قد صدرت فى ١٩٩٢، فكانت البذرة – فى تصورنا – لما تلاها، والتى اخترنا على أساسها الروايات الصادرة فى القرن الجديد – القرن الواحد والعشرين – كاستمرار لمسيرة التعبير عن التطورات المجتمعية خلال تلك الحقب المتتابعة، الأمر الذى يتيح لنا أن نستقرئ التاريخ الحقيقى للمجتمع من خلال الرواية، باعتبارها المؤرخ الحقيقى لحركة المجتمع عبر

تلك العصور، والمعبر عن تموجاته وتطوراته، الاجتماعية والفكرى، بل والاقتصادية.

وإن كان ما سبق لم يكن تأريخًا للرواية بشكلٍ عام، وإنما اختيار قائم على الأكثر التصاقًا وتصويرًا لحركة المجتمع، متجاهلين أعمالاً أخرى لنفس الكتاب، ومحاولات عديدة لكتاب آخرين لهم مكانتهم فى الحركة الأدبية، إلا أنه من الملاحظ أن هذه الروايات المختارة، تمثل مراحل البدايات لكتابها، وهو الأساس الذى اعتمدنا عليه فى اختيار نماذج مختارة للدراسة فيما بعد، حيث اعتمدنا على الرواية الأولى لمجموعة من الكتاب المتميزين، الذين استطاعوا إحداث ما يمكن اعتباره ثورة حقيقية على المتبع فى أسلوب الكتابة الروائية، فضلاً عن تميز كل منهم ببصمة خاصة به تضعه فى مصاف المجددين فى منهج الكتابة الروائية.

واعتمادنا على الرواية الأولى جاء لعدة اعتبارات منها:

- العمل الأول دائمًا يحمل الجينة الرئيسية للكاتب التى تحدد برنامجه فى الكتابة ورؤيته لها.
- العمل الأول فى أغلب الأحيان يحمل مشروع الكاتب الروائى، والذى يمكن تتبعه فى كتاباته التالية.
- الشباب دائمًا هو وقود وقائد الأعمال الثورية، فهو يملك جرأة المغامرة، وروح التحدى، فضلاً عن محاولته إثبات ذاته ووجوده فى ظل أوضاع قائمة، غاليا ما يكون رافضًا لها.

وقد اعتمدنا فى دراسة كل رواية لا على منهج واحد للدراسة، وإنما لكل رواية منهجها الخاص، النابع من عناصرها هى، بمعنى أننا لم نعتمد قولبة الأعمال الروائية فى قوالب سابقة. مستعينين فى ذلك بكل المناهج الدراسية المتاحة، القديم منها والحديث.

مسترشدين فى خلفية كل منها بالنظرة الباختينية لما يسمى فى الاصطلاح النقدى بـ (الكرونوتوب) الذى يهتم بالجدلية المستمرة فى الزمكان (الزمان والمكان) باعتبارهما عنصرى الدراسة الأساسية القائمة على فعل داخل الزمن، وحوارنا قائم على تموجات مجتمعية فى مكان معين، فى إطار زمن معين، لينتج فعلاً، هو محور الدراسة.

وإذا كان المنهج العلمى يقتضى تصنيف الروايات المختارة فى مجموعات، كل مجموعة تشكل عاملاً مشتركًا فيما بينها، إلا أن ما اخترناه من روايات تشترك كلها – تقريبا – فى مجموعة من الخصائص والسمات المشتركة، حتى تم تجميعها جميعًا فى حزمة من العناصر التى يمكن تلخيص أهم استنتاجاتها كرؤية عامة فى قراءة هذه الأعمال فى الآتى:

١ – عدم الاعتماد على القصة أو الحدث، بل تقديم صورة كلية وكأنها لوحة بانورامية للمجتمع يربطها خيط هلامى يحدد مسارها ويوجه رؤيتها.

٢ – ويرتبط بالبند السابق سواد سمة قصر صفحات الرواية، حيث أصبحت الرواية تدور فى متوسط مائة صفحة (مع الاستثناءات القليلة) فلم يعد الكاتب بحاجة لتتبع مسيرة حياة بكاملها مثلما كان فى روايات نجيب محفوظ – فيما قبل وبما فيها الثلاثية، حيث أخذ حجم القصة فى القصر بعد ذلك - أو يوسف السباعى أو إحسان عبد القدوس وغيرهم.

٣ – التركيز على منطقة "وسط البلد" للتعبير عن البلد ككل، منطلقًا مما حدث بها من تغيرات شكلية (فى العمارة خاصة) للدلالة على ما حدث من تغير اجتماعى ونظرة للأشياء.

٤ – اختفاء الشخصية بمعناها التقليدى، إذ لم يعد الكاتب بحاجة لرسم شخصية وتتبع تكوينها إلا بقدر ما يخدم رؤيته بالمقتطع من مسيرة الحياة، وأصبحت الشخصية مجرد أداة فى يد الكاتب يحمل عليها رؤيته.

٥ – الجرأة فى التناول للمسكوت عنه بتكسير التابوهات التقليدية، مثل الجنس والدين، بل والسياسة فى بعض الأحيان، رغم عدم التركيز بشكلٍ مباشر عليها.

٦ – الابتعاد عن الكتابة السياسية المباشرة، اكتفاءً بتصوير الواقع الذى هو انعكاس للأحوال السياسية، والاقتصادية المتردية.

وقد لخص الدكتور جمال التلاوى رؤيته فى رواية القرن الجديد بشكلٍ مركز حين قال:

{.. إن أكثر الروايات الحديثة تعكس نوعًا من عدم اليقين الأنطولوجى الوجودى لإنسان هذا العصر، وهو أمر قد يفضح الادعاءات الفكرية لدى الإنسان الذى تحول بدوره إلى حالة سيكولوجية. وبناء على التحولات الفكرية فقد استجابت الرواية وطورت طرائق السرد حتى أصبحت بعض هذه الطرائق وكأنها تتحدى التنظيم الواقعى المنطق، وذلك لنقل صورة حقيقية من عالم متحول مراوغ، وأصبح الاغتراب هو اليقين الثابت من بين هذه التحولات مع كثرة الشك ومع تطور علمى وتكنولوجى، فسيطر المطلق على النسبى، وانفتح اللاوعى على الوعى، وأصبحت الطبقة الرابعة فى الرواية تتصل بالصفات الميتافيزيقية للتوازى مع الموقف من الحياة..}[1].

ولقد كان المطمح هو تغطية الكتابة الروائية على مستوى

---

11) د. محمد نجيب التلاوى – وجهة النظر (السارد فى الرواية العربية) – ص ١٩.

الوطن العربى، غير أن الجهد والإمكانيات حالت دون تحقيق هذا الطموح، لذا اكتفينا – مرحليًا – بالتركيز على الرواية الأولى للكتاب الشباب فى مصر، ثم بعض النماذج فى بلد مشابه لمصر فى الكثير من الظروف السياسية والتاريخية، هى سوريا، وبلد آخذ فى النهوض بالرواية من جانب، والتحول المجتمعى من جانب آخر، هى المملكة العربية السعودية، معتمدين على نموذج جد معبر عن الحالتين، الروائية والمجتمعية، فى رواية تعتبر رائدة فى التعبير عن ذلك فى هذا البلد.

وبصفة عامة يمكن القول إنه قد تطورت الأساليب والتقنيات للحكى، وظلت وظيفة الرواية قائمة فى التعبير عن تطور العلاقة بين طبقات المجتمع، وتطور فكره ورؤيته لهذه العلاقة. لذا اعتبرت الرواية من أهم المصادر التى تقوم عليها دراسة المجتمع وتطور أفكاره ومسار تحولاته، مثلما يقول د. عبد الحميد عقار:

{.. إن مناقشة وضع الرواية العربية فى تكوينها وتحولها سيمكن فى النهاية من الوقوف على تطور الفكر العربى ككل، لأن الرواية ليست مجرد شكل أو تقنيات بقدر ما هى تصور ووجهة نظر حول الذات والعالم والمحيط من حوليهما.

والوقوف على وجهة النظر معناه الوقوف على نمط التفكير ونمط الحياة، والوقوف على نمط الارتباط بالكون...}[1].

من خلال الجولة النصية التى شملت الرواية فى هذا القرن الواحد والعشرين، والتى شملت كل من مصر وسوريا والسعودية والمغرب والسودان، نستطيع الوصول إلى بعض العناصر الأساسية:

١ – إن هناك حراكًا مجتمعيًا فى البلدان العربية، يسعى نحو

---

(1) الآداب البيروتية.

التغيير، مستهدفًا المزيد من الحرية والديمقراطية.

٢ – اتخاذ التعبير نحو التغيير أساليب متنوعة بين البلدان العربية، توقف على مدى ما وصلت إليه الحالة المجتمعية فى هذه البلدان ومدى ما وصلت إليه قضايا الحرية والديمقراطية، فبينما وصلت حالة الإنسان المصرى مرحلة الاحتجاج السلبى المتمثل فى الانخراط فى مذهبات الوعى والجنس، فإنها فى سوريا أخذت الاتجاه نحو الرغبة المباشرة، وفى السعودية انطلقت المرأة من مخبأها مطالبة بالحرية فى ممارسة الحياة العامة، وفى السودان فرت إلى الخارج لتعلن رفضها للممارسات السلطوية الأصولية.

٣ – إن الرواية أصبحت هى "شعر الدنيا الحديثة" مثلما قال أبو الرواية العربية نجيب محفوظ فى رده على العقاد قبل أربعين عامًا، بمعنى أنها بالفعل أصبحت "ديوان العرب المحدثين – مثلما قال د. على الراعى أيضًا – وأصبحنا نعيش" زمن الرواية – مثلما قال د. جابر عصفور -. فقط أصبحت الرواية بما تملك من حرية الحركة، هى القراءة الصحيحة لنبض وتحركات والتغيرات المجتمعية الفوارة فى الوطن العربى، والقلب النابض بهواجسها وطموحاتها.

وإذا قصرت الدراسة أو قصرت فى حق أى من كتاب الرواية فى تلك البلدان، أو فى حق البلدان العربية الأخرى، فإنما سعت لإلقاء بعض الضوء، وفتح مجال الحوار، آملة فى استكمال ما نقص، إن ساعدت الهمة والعمر. آملة أن تسد بعض النقص فى الدراسات التطبيقية التى تضاءلت أمام زخم التنظيرات النقدية النظرية.